RIC
مركز البحوث والمعلومات
Research & Information Center
SABA
SABA.YE

إمام اليمن الميمون
الهادي
إلى الحق القويم

مركز البحوث والمعلومات
زيد المحبشي

وكالة الانباء اليمنية (سبأ)
WWW.SABA.YE/AR

إمام اليمـن الميمون

الهـادي

إلى الحـق القـويم

مركز البحوث والمعلومات

زيد المحبشي

أغسـطس 2023م

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)

www.saba.ye/ar

مقـــــدمة

يُعـدّ الإمـام الهـادي عليـه السـلام مـن أهـم وأبـرز النـماذج التـي زخـر بهـا التاريـخ الإسـلامي في تطبيـق العـدل والمسـاواة والقيـم، والتجسـيد الكامـل لـكل مـا نـادى بـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم والأئمـة الأبـرار مـن أهـل البيـت الأخيـار سـلام اللـه عليهـم، وهـو مـن كبـار أئمـة الزيديـة، وأحـد أهـم المصلحـين في تاريـخ اليمـن خـلال الثلاثـة عـشر قرنـاً الماضيـة، وأحـد أهـم أعـلام الهـدى وأقـلام الجهـاد والاجتهـاد في التاريـخ الإسـلامي العريـض.

تحدثـت العديـد مـن الآثـار الشريفـة عـن ظهـوره في اليمـن، ودوره في إقامـة موازيـن العـدل والحـق في هـذه المنطقـة المباركـة مـن جزيـرة العرب، كـما تحدث الكثـير مـن المؤرخـين مـن غـير الزيديـة عـن دوره الكبـير في المصالحـة بـين قبائـل اليمـن المتناحـرة والمتنازعـة عـلى الملـك والزعامـة والنفـوذ، ومحاربـة الفـتن والبـدع والفسـاد والإضطرابـات والصراعـات، ومواجهـة شرور القرامطـة، والحـد مـن جرائمهـم بحـق اليمنيـين، وإحيـاء مـا انـدرس مـن معـالم الديـن، وإقامـة أحـكام الشريعـة الإسـلامية، وإرسـاء قواعـد وأُسـس الدولـة الزيديـة الأولى في اليمـن، والتـي كان لهـا الفضـل في مواجهـة القـوى الطامعـة والغازيـة في القـرون التاليـة كالقرامطـة والمماليـك والأيوبيـين والعثمانيـين وقـوى الإسـتعمار الغـربي بتلاوينهـم، والوهابيـة بدولهـا الثـلاث، ومـا نـراه اليـوم مـن صمـود واستبسـال اسـطوري لأحفـاد الأنصـار بقيـادة حفيـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم في مواجهـة تحالـف الـشر العـبري للعـام الثامـن عـلى التـوالي هـو قبسٌ مـن نـور الواجـب الربـاني الـذي حملـه أئمـة الزيديـة في الدفـاع عـن الأمـة وإقامـة موازيـن الحـق والعـدل والـذود عـن حيـاض الإسـلام.

ونظـراً لمـا لعبـه هـذا الإمـام العظيـم سـلام اللـه عليـه مـن دور إصلاحـي كبـير في اليمـن، إنـبرت بعـض الأقـلام الإخونجيـة المأجـورة والمأفونـة والشـاذة بعـد أحـداث 2011، للطعـن فيـه وتشـويه تاريخـه الناصـع، خدمـة لأسـيادهم

في الدرعية من الوهابية الأقتام ومن لف لفهم، ونحن هنا لسنا بصدد الرد على تقيُّحات تلك الأقلام العفنة، فالرد عليهم إعلاءٌ لشأنهم، ومنحهم مكانة ليسوا من أهلها، وإنما نحاول في هذه القراءة السريعة الوقوف على أبرز محطات سيرة ذلك الإمام العظيم صلوات الله وسلامه عليه، لا سيما ونحن نحتفي هذه الأيام بقدومه المبارك إلى بلد الإيمان والحكمة.

بركات القدوم المبارك

الملفت في سيرته العطرة سلام الله عليه ذهابه في العام 270 هـ/ 883 م مع والده وبعض عمومته إلى مدينة "آمل" بإيران، وكانت يومها تحت حكم العلوية، لكن الرحلة إلى المنطقة الشمالية من العالم الإسلامي لم تجذب انتباهه، ما جعله يغادرها بعد فترة وجيزة، عائداً إلى مستقر أسرته في "الرس" من أعمال المدينة المنورة، وفي المدينة أتاه زعماء اليمن يدعونه للقدوم إلى بلادهم ومبايعته، فلبى نداء أحفاد الأنصار، وقرر قضاء بقية حياته في جنوب العالم الإسلامي، وفي هذا سرٌ عظيم، لعل أهم مفاتيحه، التشيّع الصادق لأبناء هذا البلد، وحُبهم وإخلاصهم وولائهم ووفائهم لأهل البيت عليهم السلام، كما تشهد بذلك مواقف أبائهم وأجدادهم من أئمة الحق بدءاً بالإمام علي عليه السلام وما تلاه، ومن أهم بركات ذلك القدوم المبارك تحول اليمن إلى مستقر لأطول دولة زيدية في المشرق العربي، وأهم حاضنة لفكر أهل البيت وأئمة الهدى.

سطور عابر من سيرة غير عابرة:

هو الإمام الهادي إلى الحق مُحيي الفرائض والسُنن "يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشِبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي المرتضى بن أبي طالب شيخ الأبطح".

مولده المبارك بالرس من أعمال المدينة المنورة عام 245 هـ، 859م.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
www.saba.ye/ar

بعد ولادته أرسلته أمه إلى جده الإمام القاسم الرسي عليه السلام، فاحتضنه ووضعه في حِجره المبارك وعوّذه وبرّك عليه ودعا له، ثم قال لأبيه: بم سميته؟.

قال: يحيى - وكان للحسين أخٌ لأبيه يُسمّى يحيى تُوفي قبل ذلك - فبكى الإمام القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: "هو والله يحيى صاحب اليمن".

واستشهاده في ليلة الأحد 20 ذي الحجة 298 هـ، وموارة جُثمانه الطاهر في يوم الاثنين 21 ذي الحجة 298 هـ، في قبره الشريف المقابل لمحراب جامعه الذي أسسه بيده بمدينة صعدة، ويذكر المؤرخون أنه سلام الله عليه رأى نُوراً ساطعاً في حياته، واختط الجامع المقدس على جذوة ذلك النور، فكان ذلك أول أساس لمدينة صعدة القديمة الواقعة تحت جبل "تلمص".

وعندما نُعي خبر وفاته سلام الله عليه إلى الإمام الناصر الأطروش عليه السلام، بكى بنحيبٍ ونشيج، وقال: "اليوم انهد ركن الإسلام".

وكانت للناصر دولة زيدية في الجيل والديلم من أرض إيران، وكان يدعو الناس في مناطق وجود الإمام الهادي لمناصرته: "من يُمكنه أن ينصره وقرُب منه فنصرته واجبة عليه، ومن تمكن من نصرتي وقرُب مني فلينصرني"، وتزامنت دعوتهما، رغم أن الناصر يكبرُ الهادي سِناً إلا أنه كان يُعظمه ويُبجله.

بين مولده واستشهاده سلام الله عليه 53 عاماً، ارتقى مسموماً، وكان به جُرحٌ في قدمه، أصيب به في إحدى المعارك، بعد موارة جسده الطاهر الثرى ظل ذلك الجُرح يشخب مِسكاً، ولا يزال إلى يوم الناس، وكل ما حاول أعداء الحق طمس قبره دلّت مُحبيه عليه رائحته الزكية، وهذه كرامة ومزية اختص الله بها أوليائه دون سائر الخلق.

ومن العجائب قذف الوهابية بعد فتنة "جهيمان العتيبي" في الحرم المكي عام 1979 أحد شيوخها ويدعى "مقبل بن هادي الوادعي الصيلمي" إلى منطقة "دماج" من أعمال محافظة صعدة بهدف محاربة الزيدية، فكانت من أعمال ذلك الرجل غزو جامع الإمام الهادي عليه السلام بمدينة صعدة، وادعائه بأن الرائحة الزكية التي تخرج من قبره، من فعل القائمين على خدمة الضريح الشريف، وأنهم

يصبون عطوراً داخل القبر فتختلط بترابه وتفوح منه تلك الرائحة، فقرر ذلك الشيخ إحضار أغلى العطور الفرنسية وصبها في القبر من أجل إيهام أتباعه بما زينه شيطانه، وكانت بتابوت الضريح فتحة مدورة من الجهة الشمالية، وبالفعل خَفَّت الرائحة من الجهة الشمالية وانشق التابوت بشكلٍ طُولي من الجهة الجنوبية وانتقلت الرائحة إلى تلك الجهة، وهو ما لمسناه خلال زيارتنا للمقام الشريف في العامين 1995 و1997، وبالفعل فالرائحة العطرة الخارجة من الضريح لا شبيه لها، ولم أشم في حياتي مثلها، وفشلت مؤامرة شيخ الوهابية، وبُهت الذي كفر.

أمه "فاطمة بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سلام الله عليها وعلى آبائها.

أنجب من الأولاد: محمد المرتضى تمت مبايعته بعد وفاة والده وامتد حكمه إلى نجران وهمدان وخولان لكنه اعتزل بعد أربع سنوات من ولايته، أحمد الناصر - خلف أخاه محمد في العام 301 هـ/ 913 م وكان له دور كبير في محاربة القرامطة وزعماء الفتن المحلية واستمرت ولايته إلى أن توفاه الله في العام 322 هـ/ 934 م، فاطمة، زينب - أمهم "فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم"، الحسن - أمه صنعانية.

وصف الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام ما كان عليه من الهيئة الجسمانية: "كان أسدِّياً - يُشبه الأسد في عرض منكبيه وخمص بطنه، أنجل العينين، واسع الساعدين، غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز، كالأسد".

عاش سلام الله عليه في كنف أسرة علمية مثالية جمعت خير خصال الأسرة النبوية، وترعرع في أحضان جبل "الرس" الواقع على مقرُبة من المدينة المنورة، وكان جده القاسم الرسي عليه السلام قد خرج بأسرته إلى ذلك المكان ليتمكن من تربيتهم تربية حسنة، ويُبعدهم عن ضجيج المدينة وفسادها.

تميّز منذ صباه بالذكاء والنبوغ والقوة والشدة والبأس والشجاعة، والاشتغال بالعلم والتوفُّر عليه، واستطاع من ذلك المكان المعزول أن يُطلّ على العالم من خلال العلم،

وكان سلام الله عليه آية من آيات الله في العلم والزهد والورع والتقوى والحُلم.

ومن الأخبار المُتناقلة عن قوته وشدته كما يذكر صاحب "الإفادة"، أنه كان يأخذ الدينار بيده فيؤثر في سكّته بإصبعه - أي يخط بإصبعه الشريفة على الدينار نحتاً، وهذه من الأعمال الخارقة.

بعد تجاوزه مرحلة الطفولة لمع نجمه في سماء الفضيلة والعلم، فألّف ورحل وخطب وشعر وناظر وأبدع، وبلغت أخباره بُلداناً كثيرة، وتجاذبته الشعوب للنزول في أوساطها، وحمل لواء الإصلاح في مجتمعاتها.

كانت تعاليمه وآراءه سلام الله عليه موضع احترام وإجلال من الأئمة والعلماء، وبمنزلة السُنّة، واجبة الطاعة لدى زيدية اليمن وجزء من زيدية طبرستان والجيل والديلم، إلى درجة أن العدول عنها كان يُعد انحرافاً غير مقبول، لفصاحة بيانه، وقوة حجته.

يقول الإمام المؤيد بالله عليه السلام: "كنا نهاب نصوص يحيى بن الحسين كما نهاب نصوص القرآن"، ويُضيف الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام: "وقول يحيى بن الحسين يُنقض بقوله لا بقول غيره، إذ لا سلطان للغير عليه ولا سبيل له إليه".

وقال عالم أهل الري وحافظهم "أبو بكر بن يعقوب": "قد ضل فكري في هذا الرجل - يقصد الهادي عليه السلام - فإني كنت لا أعترف لأحدٍ بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جَذَع، بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولاً، إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم، فأرادُّه، فيُخَرِّج إلي المسألة من كتبنا على ما حكى وادعى، فقد صرت إذا ادعى شيئاً عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثراً".

وردت فيه العديد من الآثار الشريفة عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه الوصي عليه السلام.

منها قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد إشارته بيده الكريمة إلى اليمن: "سيخرج رجل من ولدي في هذه الجهة اسمه يحيى الهادي، يُحيي الله به الدين".

ورُوي أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "يخرج من هذا النهج - وأشار بيده

الشريفة إلى اليمن - رجلٌ من أولادي اسمه يحيى الهادي، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يُحيي الله به الحق، ويُميت به الباطل".

وعن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: "ما من فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها"، ثم ذكر فتنة بين الثمانين والمائتين للهجرة، وقال: "فيخرج رجلٌ من عترتي اسمه اسم نبي، يُميّز بين الحق والباطل، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، ويؤلّف الله قلوب المؤمنين على يديه".

وفسّر "الحافظ ابن حجر" في "فتح الباري شرح البخاري"، الخبر النبوي: "لا يزال هذا الأمر في قريشٍ ما بقي منهم اثنان"، ببقاء الأمر في قريش باليمن من المائة الثالثة في طائفة من بني الحسن: "ولا يتولّى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً، مُتحرياً للعدل، ..، والذي في صعدة وغيرها من اليمن، لا شك في كونه قُرشياً - قاصداً الهادي عليه السلام - لأنه من ذُرية الحسن بن علي عليه السلام".

السمات والمميزات:

قال الأديب العلامة الشهيد أحمد بن محمد المُطاع رحمة الله عليه في كتابه تاريخ اليمن الإسلامي: "الإمام الهادي بلا شكٍ أكبر مُصلح ارتفع اسمه في أُفق التاريخ اليمني، ونال من الاحترام والحب في قلوب اليمنيين مكانة لم يتبوأها أحد، بحيث أصبحت آثاره وأعماله وصفاته قبلة الأبصار ومهوى الأفئدة، وهو بمكان عُليا من العلم والفضل والورع، ومكارم الأخلاق، والحلم والتواضع، كثير الصفح والتجاوز عن سيئات الناس وهفواتهم، وكان شُجاعاً مِقداماً، ثابت الجأش، ماضي العزيمة، دائم الحركة، جم النشاط، قوي الشكيمة، شديد الشعور بواجب الزعامة، حريصاً على مصالح الناس الدينية والدنيوية، كثير العناية بشؤونهم الاجتماعية والأخلاقية.

كان سلام الله عليه يُصلي بالناس الجماعة ثم يقعد للإرشاد وفصل الخصومات ثم ينهض فيدور في الأسواق والسكك فإن رأى جداراً مائلاً أمر أهله بإصلاحه أو طريقاً فاسداً أو خلفاً مظلماً أمر أهله أن يضيئوا فيه للمارة.

ومن آثاره الإصلاحية إحداث البراقع للنساء في اليمن وإلزامهن بذلك، وكان يقف على أهل كل بضاعة ويُحذرهم من الغش، ويُسعِّر لهم بضاعتهم وينهاهم عن التظالم.

وكان يقول إنما ورد النهي عن التسعير على أهل الوفاء وأهل التقوى، فإذا ظهرت الظُلامات وجب على أولياء الله أن ينهوا عن الفساد كله، ويردوا الحق إلى مواضعه، ويزجروا الباطل من مكانه، ويأخذوا على يدي الظالم فيه.

وكان يتفقد السجون بنفسه، ويسأل عن ذنوب المسجونين فمن كان في دَينٍ نظر في جِدّته وإفلاسه، ومن كان في ذنبٍ تفقد جُرمه وأمره، وفحص عن أحواله، وكان رحيماً بالفقراء والأيتام".

وقال المؤرخ اليمني القاضي "عبدالله الشماحي": "لقد كان الهادي يحيى بن الحسين مثلاً لصفات القائد، والقدوة الحسنة لأتباعه، مُترفعاً عن سفاسف الأمور، وعن المُتع، شُجاعاً في المعارك والأهوال، وفي تطبيق ما يُؤمن به ويدعو إليه، مُعتدلاً حتى مع أعدائه".

ووصف المذهب الهادوي الزيدي، بأنه "أقوى المذاهب الإسلامية، وأكملها بقوانين المعاملات، والعلاقات والحياة، وأوضحها تمشّياً ولُصوقاً بالروح الإسلامية التي أعطت الحياة مُتطلبات نمُوها وانسجامها، إنه مذهب واقع وحقائق لا خيالات وأوهام، ولا تصورات شاطحة وأحلام، ولا مذهب ألغاز ومعميات، ولا مذهب كرامات وأولياء، ومُعجزات وعصمة أئمة، ولا مذهب واسطة بين العبد وربه إلا عمل العبد وإيمانه، إنه مذهب عبادات ومعاملات، بلغت قوانينها من الدقة الفقهية والتشريعية ما لم تبلُغه أدق القوانين المُعاصرة، شُمولاً وقُبولاً للتطور وتقبُل كل جديد صالح، إنه مذهب دين ودُنيا، وإيمان وعمل وجد ونشاط، وعدل وإيثار، وجهاد واجتهاد، فيه الإنسان مُخيّر لا مُجبر، مُكلّف لما فيه طاعة الله والمصلحة لعباده، مذهب يدعو إلى التحرُر الفكري والتعمُّق في العلوم النافعة، ويُحرِّم التقليد في العقائد والقواعد العلمية الدينية، ويُوجب الاجتهاد على ضوء القرآن والسُنة في العبادات والمعاملات، ويدعو إلى القوة والتضحية، ويفرض الطاعة والنظام والتعاون، كما يفرض الخروج

على أئمة الجور، والثورة على الظلم الاجتماعي، والطغيان الفردي، ولا يرضَ لأتباعه بالمذلة والكسل، ولا بالخضوع والاستسلام لغير الله وما شرعه، مذهب يحترم السلف في حدود أنهم من البشر عُرضة للنقد بما فيهم الصحابة وأبناء فاطمة".

وتحدّث أحد علماء الشافعية بالعراق بعد زيارته عن علمه وعدله وفضله وسيرته النبوية ما بهر الألباب، وشاهده يتولى بيده الكريمة معالجة الجرحى، وإطعام اليتامى والمساكين.

حيثيات القيام والخروج:

كانت مدينة صعدة ومخاليفها خلال الفترة التاريخية "270 - 280 هـ" غارقة في الفوضى والإضطرابات والصراعات، إما بسبب النزاعات القبلية بين الزعماء المحليين على الحكم والنفوذ والمصالح أو بسبب الصراعات السياسية بين اليعفريين والقادة المحليين من جهة وبينهم وبين دُعاة الدولة الفاطمية في اليمن من جهة أخرى، وما ارتكبه ولاة الأخيرة من جرائم بحق اليمنيين في مناطق نفوذهم وتنكيلهم بأبناء صنعاء وزبيد وحجة، وإشاعتهم الكثير من المنكرات، وإباحتهم المحرمات، واستفحال أذاهم وشرهم.

ناهيك عن الأهمية الجغرافية لموقع مدينة صعدة، وما تُمثله من همزة وصل بين الدولة العباسية وعُمالها في اليمن، لذا فعدم إستقرارها يجعل اليمن لُقمة سائغة للغزاة والمحتلين وبؤرة للإضطرابات والفتن، والعكس فاستقرارها من أهم مفاتيح استقرار اليمن تاريخياً.

وتحدث إمام المُحدِّثين في عصره "يحيى بن أبي بكر العامري" في رياضه المُستطابة عن "تحرُّز أهل البيت عليهم السلام في زمن المعتمد والمعتضد والمقتدر وما تلاهم من ملوك الدولة العباسية حتى المستعصم، إلى بُلدان لا يُقدر عليهم فيها، مثل: جيلان وديلمان وما يواليها من بلاد العجم، ونجد اليمن كصنعاء وصعدة وجهاتها، واستوثق أمرهم وقاموا بالإمامة بشروطها قاهرين ظاهرين، فقام منهم بنجد اليمن نحو بضع وعشرين إماماً أولهم وأولاهم بالذكر الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم"،

وهذا سببٌ لاستهواء هذا البلد الطيب لأئمة الهدى ومصابيح الدُجى من عترة النبي المصطفى عليهم السلام، فقد كان لموقعه الجغرافي أهمية كبيرة في تفضيله وجعله مُنطلقاً لدعوة العشرات منهم، خصوصاً المرتفعات الجبلية الحصينة والمنيعة.

ولم يكن الهادي سلام الله عليه أول هاشمي يظهر في المسرح السياسي اليمني بل سبقه العديد من دُعاة أئمة الهدى أمثال محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، منهم إبراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام في العام 200 هـ، وهو أول هاشمي يظهر على المسرح السياسي اليمن، لكن ميزة الهادي عليه السلام أنه أول من تمكّن من إقامة دولة زيدية في اليمن، بينما من سبقه كانوا مُجرد دعاة لأئمة سُكنتهم العراق أو الجيل أو الديلم أو طُبرستان.

في الوقائع الميدانية حدث خلافٌ كبير بين سكان صعدة ومخاليفها من قبائل خولان حول اختيار زعيم منهم يحكُمهم، ومنعاً لسفك الدماء وقع اختيارهم على الإمام الهادي عليه السلام ليخرج إليهم ويجمع أمرهم، ويُصلح حالهم، وأرسلوا إليه وفداً من قبائل يرسم وبني سعد بن سعد بن خولان وآل أبي فطيمة من ولد سعد بن حاذر بن صحار بن خولان، وقبلت دعوته ونُصرته، وكانت عمُود أمره ووكر عزه ونظام دولته، وحثته على القدوم إلى اليمن.

وكانت قبائل المرتفعات اليمنية وبخاصة صعدة ومخاليفها على صلة بأهل البيت عليهم السلام في الحجاز، ومن المتشيعين المخلصين والأوفياء لهم، فاستجاب سلام الله عليه لهم.

له سلام الله عليه خُروجين إلى اليمن، تمكن خلالهما من إحداث نقلة نوعية في هذا البلد الغارق في الفتن والنزاعات والخصومات، وتأسيس الدولة الزيدية الأولى فيه، ولعلى من أهم أسباب نجاحه ودولته:

1 - مساندة قبائل خولان وبعض قبائل همدان وترحيبها بقدومه إلى اليمن واستقباله ومناصرته.

2 - ضعف الدولة العباسية، وبُعد اليمن عنها، ومنعة وتحصُّن المرتفعات الجبلية اليمنية.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
www.saba.ye/ar

الخروج الأول:

كان قُدومه الأول إلى اليمن في العام 280 هـ/ 893 م، وعمره نحو 35 عاماً، وتمكن خلال هذا الخروج من الوصول إلى منطقة الشُرفة من بلاد نهم في محافظة صنعاء، وأطاعه أهل تلك النواحي، وكانت مدينة صنعاء يومها مستنقعاً للمجبرة والمشبهة.

مكث في اليمن فترة وجيزة ثم قرر العودة إلى الرس بالمدينة المنورة بسبب حدوث بعض المنكرات، منها:

1 - أخذ بعض الجند من اليمنيين في صفوف قواته شيئ يسير من أموال الناس بدون وجه حق، فقال سلام الله عليه: "هؤلاء قومٌ لا يُنتصرُ بهم"، وهذا درسٌ بليغ لكل قائدٍ مُحقّ ينشد النصر والظفر على أعداء الحق، في وجوب التطهر من المظالم قبل المواجهة، لأنها من المُحبطات القاصمة.

2 - شُرب أولاد قادة بعض العشائر اليمنية الموالية لأبو العتاهية الهمداني الخمور، فأمر بإحضارهم لإقامة الحد عليهم، لكنهم امتنعوا عليه، فقال لهم: "لا أكون كالفتيلة تُضيئ غيرها وتحرق نفسها"، وقرر الرجوع إلى المدينة، مُغاضباً، لأن من بايعه من اليمنيين لم يلتزموا بطاعة الله، ولم يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، واعتزل أمرهم، فأين نحن من هكذا نماذج ربانية؟.

عصفت باليمنيين بعد مغادرته المجاعة والقحط والفتن، وحلّ بهم البلاء والخوف، وانعدم الأمن، ومنعت السماء قطرها، وجفّت الضرع، وضاق الحال، فقرروا في العام 283 هـ مُكاتبة أبيه سلام الله عليه في المدينة المنورة وعمومته، والتوسل بهم إليه، والتشفُّع لديه في معاودتهم، والتعهد بعدم مخالفته، والتزام أوامره وتوجيهاته، وإظهار التوبة والندم والإنابة على ما فرط منهم، فعاودهم بعد مسألتهم إياه، وذكروا أنه منذ فارقهم قد اختلفت ثمارهم وزرُوعهم، وأسرع الموت في مواشيهم وأنعامهم.

الخروج الثاني إلى اليمن:

وصل إلى صعدة في 6 صفر 284 هـ/ 899 م، فانضمت إليه بنو سعد والربيعة، وعقد بينهما عقد وئام، واستحلف بعضهم لبعض بترك الفتنة والعداوة، فحلفوا

على ذلك، ثم أخذ منهم البيعة على الطاعة والمُناصرة والقيام بأمر الله، وعمل على حسم الفتن المُشتعلة وتهدئة الأوضاع في صعدة وأطرافها، وأجرى المُصالحة بين قبائل خولان، وأمر بتفريق رُبع الزكاة من الطعام في الفقراء والأيتام والمساكين، ووضع نظاماً جديداً للضرائب، واستقر بها فترة وجيزة.

وجه نشاطه بعد ذلك إلى بلاد اليمن كلها، فدعى الناس إلى الجهاد في سبيل الله، وقصد نجران بجموع كثيرة من خولان وغيرهم، واستبشر سُكانها بقدُومه، وتكللت جهوده بفتحها، وبايعه أهل وادعة وشاكر ويام، وكانت بينهم وبين بني الحارث بنجران حروب ونزاعات، فأصلح بينهم، وأخذ عليهم المواثيق على الاتفاق والإخاء وترك الشقاق.

عاد بعدها إلى صعدة فوضع عهداً وأماناً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم فيما شروه من المسلمين التُسع، وما شروه من الجاهلية فليس عليهم فيه شيئ، وقرَّرهم على الجزية في نجران وصعدة وسائر المناطق التي فتحها.

أمضى سلام الله عليه وقتاً طويلاً للقضاء على الفتن المُشتعلة والمُتنقلة في النواحي القريبة منها فتنة أهل أثافِت وبنو الحارث بنجران وبعض قبائل خولان، وفتح برط وخيوان، وولّى العمال على تلك النواحي، ونجح في فتح صنعاء والمخاليف المُحيطة بها، لكن سرعان ما خرجت من يده.

في العامين "294 - 295 هـ" استفحل شر القرامطة بقيادة علي بن الفضل ومنصور بن حوشب، وارتكبوا المُوبقات ونكّلوا بالناس، فأعلن سلام الله عليه الجهاد ضدهم، ووقعت بينهم أكثر من 73 وقعة ومعركة، كانت له اليد العليا فيها كلها، واستمر على ذلك حتى وفاته، إلى أن أتت الضربة القاضية لهذه الفرقة الضالة على يد ولده الإمام الناصر أحمد بن الهادي عليهما السلام.

الأهداف والأعمال:

كان ظهوره سلام الله عليه على المسرح السياسي اليمني في العام 280 هـ، ووفاته في العام 298 هـ، 910 م، ومدة ظهوره وخلافته 18 عاماً إلا أياماً.

بعد وصوله إلى اليمن وقف يدعو الناس لبيعته، وعاهدهم عهدين:

"أيها الناس - وفي رواية يا أهل اليمن - لكم أربعاً على نفسي: الحكم بكتاب الله وسُنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والأثرة لكم على نفسي، فيما جعله بيني وبينكم، أُوثركم فلا أتفضل عليكم، وأُقدمكم عند العطاء قبلي، وأتقدم عليكم عند لقاء عدوي وعدوكم، وأشترط لنفسي عليكم اثنين: النُصح لله سبحانه وتعالى في السر والعلانية، والطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم، وإن مِلت وعدلت عن كتاب الله، وسُنة نبيه، فلا حُجة لي عليكم، فهذه هي سبيلي أدعو الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني".

وأقسم في بعض مقاماته أنه لا يغيب عنهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا شخصه "إن أطاعوه": "والله لإن أطعتموني لا فقدتم من رسول الله إلا شخصه إن شاء الله".

من هذا القسم وما تبعه من بيانات تصب في ذات السياق، لم يكن سلام الله عليه يسعى للحصول على حكم اليمن كما يدعي المرجفون، بل كانت غايته، هي ذات الغاية التي دفعت الإمام الحسين السبط عليه السلام للخروج ضد الطاغية الأموي يزيد بن معاوية، ودفعت حفيده الإمام زيد بن علي عليه السلام للخروج ضد الطاغية هشام بن عبدالملك،

فكان من أهم أهداف هذا الخروج المقدس:

1 - إحياء الشريعة والأحكام الإسلامية، وفرض سُلطانها، وتجديد أحكام خاتم النبيين، وآثار سيد الوصيين.

2 - جمع المسلمين على كتاب الله وسُنة رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - لمّ شمل المسلمين وإصلاح أمورهم فيما بينهم، يقول سلام الله عليه: "والله لوددت أن الله أصلح الإسلام بي - وفي رواية أصلح هذه الأمة، وأن يدي مُعلقة بالثريا ثم أهوي إلى الأرض فلا أصل إلا قِطعاً - وفي رواية وأني جُعت يوماً وشبعت يوماً".

4 - محاربة المُنكرات والبدع، يذكر صاحب "الإفادة" أن علياً بن العباس الحسني دخل يوماً على الهادي عليه السلام بعد السَحر، وكان قد تدّرع وتسلّح لقتال القرامطة، فوجده مُفكراً مُطرقاً، وقال له سيُظفرك الله بالقرامطة ويكفيكهم، وكانوا قد هجموا عليه بقضهم وقضيضهم، فأخبره الإمام بأنه لا يُفكر فيهم ولا يهتم لهم، وأنه يود أن يكون له يوماً كيوم الإمام زيد بن علي عليهم السلام، ولكن بلغه مُنكرات وقعت من بعض الطالبية في صفوفه.

بعد استقراره سلام الله عليه في صعدة كرّس جهوده للعمل في اتجاهين:

1 - جمع اليمن وما جاورها على حكمٍ واحد، والقضاء على التفرقة والعنصرية الجاهلية، ومحاربة الفساد والانحراف بمختلف مسمياته، وأمر بصكّ عُملة خاصة بدولته، ولهابته وعظيم ما قام به، خُطب له بمكة المكرمة 7 سنوات، كما ذكر صاحب "عمدة الطالب"، وغيره من المؤرخين.

2 - إقامة موازين العدل والإنصاف في مناطق نفوذه باليمن، وإشاعة الاطمئنان والاستقرار والفضيلة، ولا عجب فقد كان العدل والإنصاف مُحركه ومُحرك آبائه، وكان يقولها بوضوح: "سيرة محمد وإلا النار"، ولم يزل يحمل مشعل الإصلاح، ويعمل على تزكية النفوس حتى وفاته.

ومن أهم الإجراءات التي اتخذها سلام الله عليه لتنظيم شؤون دولته:

1 - بعث عماله إلى قُرى صعدة وغيرها من المناطق التي استجابت لدعوته، وإرسال الرسل إلى سائر ولاة ورؤساء وزعماء القبائل اليمنية، وأخذت تأتيه الردود والوفود.

2 - إصدار دستور يُحدد سُلطات ومسؤوليات العُمال، من أهم مُوجهاته:

أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب - تعليم القرآن الكريم وأصول الدين.

ج - إقامة الصلاة بتمام الركوع والسجود.

د - إحياء فريضة الجهاد.

3 - تحديد أنصبة الزكاة على المسلمين والجزية على اليهود والنصارى، فجعل الزكاة عُشراً على ما أخرجت الأرض التي تُسقى عذباً أو سيحاً، ونصف العُشر على ما يُسقَ بالسواقي والدوالي، ونصاب الزكاة بـ 33 فرقاً، وهي 5 أوسق كاملة، وكذا الزكاة على أموال التُجار، والجزية على أهل الذمة 24 درهماً من أغنيائهم و12 درهماً من متوسط الحال، وبعد فترة جعلها: 48، 24، 12 درهما قفلة - وازنة - على التوالي، ووجه بعدم أخذها ممن يملك أقل من 5 دنانير، مع حماية أملاكهم، إلا فيما اشتروه من أملاك المسلمين فحُكمه أن يُرد.

4 - إجراء المؤن والأرزاق على العاملين والولاة والفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فحدد لهم رُبع جباية بلدهم.

والمُلفت هنا رفضه سلام الله عليه أخذ مُرتب له نظير عمله من بيت مال المسلمين كما هو حال موظفي دولته، واكتفائه بالإنفاق على نفسه وأسرته مما كان يأتيه من أمواله في الرس، قال سلام الله عليه: "والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت من اليمن شيئاً ولا شربت منه الماء إلا من شيئ جئت به معي من الحجاز".

فمن أين لنا بهكذا حُكام ربانيين في زماننا، ثم يأتي من يدعي بلا حياءٍ ولا خجل بأنه سلام الله عليه إنما أتى اليمن طامعاً ليتملّك أرضها ويحكم أهلها، وهي فريسة ممجوجة ومتهافتة.

5 - تحديد مسؤوليات الإمام والرعية.

أولاً: الشروط الواجب توافرها في الحاكم:

أ - الحكم بكتاب الله وسُنة رسول الله.

ب - الأثرة للرعية على نفسه فيما جعل الله بينه وبينهم.

ج - تقديم الرعية في العطاء.

د - التقدم أمام الرعية للقاء عدوه وعدوهم.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
www.saba.ye/ar

ثانياً: الشروط الواجب توافرها في الرعية:

أ - النصيحة لله وللحاكم في السر والعلانية.

ب - الطاعة لأمر الحاكم في جميع أحوالهم ما أطاع الله، فإن خالف طاعة الله فلا طاعة له عليهم، وإن عدل عن كتاب الله وسُنة رسول الله فلا حجة له عليهم، وعليهم أن يقوِّموه بحد السيف حتى يعدل عن غيه ويعود إلى رُشده.

الإنتاج الفكري:

ترك لنا سلام الله عليه مكتبة زاخرة في الحديث والفقه والتفسير والتوحيد والشرائع والأديان وغير ذلك، وكان لا يتمكن من إملاء مسألة إلا وهو على ظهر فرسه في أغلب الأوقات.

بدأ بالتأليف وهو لا يزال في السابعة عشرة من عمره، وبلغ بحسب شهادة ولده المرتضى محمد بن يحيى بن الحسين عليهم السلام: "من العلم مبلغاً يختارُ عنده ويُصنِّف وله سبع عشرة سنة"، وهذه من عجائب الروايات التي تضمّنت خرق العادات كما يذكر الشهيد حميد بن محمد المحلي رحمة الله عليه في "حدائقه الوردية".

ارتوى سلام الله عليه من سلسال العلم المعين وتفيأ ظلال العرفان حتى تفجر العلم من جوانبه ونطق من الحِكم بغرائبه، وصنّف التصانيف الفائقة، والكتب البديعة الرائقة، وكان مرجعاً في الدين لكل الطوائف الإسلامية والأمصار المختلفة، يسألونه ويستفتونه، وهو يرد عليهم برسائل قيِّمة أُثرت عنه، يُدافع فيها عن القرآن والسُنة.

من أهم مؤلفاته:

أولاً: الفقه:

1 - الأحكام في الحلال والحرام - جزءان: بدأ بتأليفه في المدينة المنورة حتى باب البيوع، خرج بعدها إلى اليمن وانشغل بالحروب، فكان يُملي بعد البيوع على كاتبٍ له كُلما فَرغ من الحرب، وهكذا كل كُتبه، وعندما همّ سلام الله عليه بالإكثار من التفرغ العلمي من أجل التأليف حالت المنية دون ذلك.

وهذا الكتاب من أهم المراجع الدينية في الفقه، ضمّنه سلام الله عليه الأدلة من الآثار والسُنن النبوية، والأقيسة القوية ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب.

يقول أبو العباس "أحمد بن إبراهيم الحسني" في "مصابيحه" عن هذا الكتاب الجليل: "ما أعلم لأحدٍ من أهل بيت رسول الله كتاباً في الفقه أجمع وأكثر فائدة منه".

2 - المنتخب: من جلائل كتبه، وفيه فقه واسع وعلم رائع كما يذكر مُحقق كتاب "الأحكام" في مقدمة الجزء الثاني.

3 - الفنون: من كُتب الفقه المُهذبة المُلخصة.

4 - المسائل.

5 - مسائل محمد بن سعيد.

6 - الرضاع.

7 - الزراعة.

8 - أمهات الأولاد.

9 - الولاء.

10 - القياس.

ثانياً: التوحيد:

1 - التوحيد.

2 - المسترشد.

3 - الرد على أهل الزيغ من المشبهين.

4 - الرد على المُجبرة والقدرية: فيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضِ بأنه السابق في الميدان، المُبرز على الأقران.

5 - الإرادة والمشيئة.

6 - الرد على الحسن بن محمد بن الحنفية.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
www.saba.ye/ar

7 - بوار القرامطة.

8 - أصول الدين.

9 - الإمامة وإثبات النبوة والوصاية.

10 - الرد على الإمامية.

11 - البالغ المُدرك في الأصول، شرحه الإمام أبو طالب عليه السلام، وهو قطعة لطيفة فيها كلام كأنه الروض، ملاحة ونظارة، والسحر، لطافة ودقة.

12 - المنزلة بين المنزلتين.

ثالثاً: القرآن الكريم:

1 - تفسير القرآن: 6 أجزاء.

2 - معاني القرآن: 9 أجزاء.

3 - الرد على من زعم أن القرآن قد ذهب بعضه.

رابعاً: الديانات والشرائع والأخلاق والردود:

1 - الديانة.

2 - الخشية.

3 - تفسير خطايا الأنبياء.

4 - الرد على سليمان بن جرير.

5 - العهد.

6 - الفوائد: جزءان.

7 - جوابات مسائل أبي القاسم الرازي: جزءان.

8 - السُنّة.

9 - أبناء الدنيا.

10 - الجواب على مسائل الحسين بن عبدالله الطبري.

11 - جواب مسألة علي بن موسى القمي.

12 - مسائل ابن أسعد.

13 - جواب مسائل نصارى نجران.

14 - مسائل أبي الحسين.

15 - الرد على أهل صنعاء.

أكثر من 40 مُصنَّفاً، وله غيرها كما يذكر الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام في "الشافي" نحو 13 مؤلَّفاً، رغم قِصر عمره وعدم تفرُّغه العلمي وانشغاله بالجهاد والإصلاح بين الناس.

المراجـــــع:

1 - الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، كتاب الأحكام في الحلال والحرام، الطبعة الأولى 1990.

2 - الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني، شرح البالغ المدرك، مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي، الطبعة الأولى 1997.

وكذا: الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، دار الحكمة اليمانية، الطبعة الأولى 1996.

3 - الإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني، المصابيح، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

4 - العلامة علي بن محمد بن عبدالله العباسي العلوي، سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر - لبنان، الطبعة الثانية 1981.

5 - العلامة المطهر بن محمد الجرموزي، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة.

6 - العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، اللآلئ المضيئة - الجزء الأول.

7 - الإمام مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي، التحف شرح الزلف، مكتبة

أهـل البيـت - صعـدة، الطبعـة الخامسـة 2017.

8 - الدكتـور حسـن سـليمان محمـود، تاريـخ اليمـن السـياسي في العـصر الإسـلامي، المجمع العلمـي العراقـي، دار الجاحـظ - بغداد، الطبعـة الأولى 1969.

9 - الدكتـور محمـد أمـين صالـح، تاريـخ اليمـن الإسـلامي في القـرون الثلاثـة الأولى للهجـرة، مكتبـة الكيـلاني - القاهـرة، الطبعـة الأولى 1975.

10 - محمـد كاظـم رحمتـي، الزيديـة في إيـران، ترجمـة مصطفـى أحمـد البكّـور، المركـز العـربي للأبحـاث ودراسـة السياسـات/ قطـر - لبنـان، طبعـة 2014.

11 - الدكتـور أيمـن فـؤاد سـيد، تاريـخ المذاهـب الدينيـة في بـلاد اليمـن حتـى نهايـة القـرن السـادس الهجـري، الـدار المصريـة اللبنانيـة، الطبعـة الأولى 1988.

وكالة الأنباء اليمنية (سبأ)
www.saba.ye/ar